وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

UNIVERSITY OF BAGHDAD

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد . كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية . فصلية . محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العـــــدد
(٤١)

(الجـــزء الاول)

(٩) جمادي الآخر ١٤٣٦هـ - (٣٠) اذار ٢٠١٥م

ايميل المجلة : journal@cois.uobagdad.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

فهرس الموضوعات
(الجزء الثاني)

كلمة العدد.....ص ٨

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
اهمية الامن ودوره في تحقيق الدين	د. عدنان عبد القادر كامل الهوراماني	٩-٣٩
تاملات في صفات القائد من خلال سورة البقرة _ دراسة موضوعية	ماجد فيصل عبود	٤٠_٧٥
القواعد الاصولية تعريفها ووجه العلاقة بينهما وبين اصول الفقه	أ.م.د احمد محمد فروح د. زكريا عبد الرحمن	٧٦_١١٩
من لطائف الاسناد في صحيح لبخاري (الحديث المسلسل بالرواة الشاميين)	م. بيداء فرحان حمد	١٢٠_١٦٥
مخالفات لامام الصميري للشافعية في باب الاحوال الشخصية	د. محمود بندر علي	١٦٦_٢٠١
مخالفات لامام الشوكاني للزيدية في باب الصلاة من خلال كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار	أ.م.د حقي اسماعيل عبد الاله	٢٠٢_٢٤٨
تسامح النبي محمد (ص)مع المبتدئ والجاهل والمخطئ	د. علي محمد مهيدي د. ماجد عدنان القيسي	٢٤٩_٢٧٥
ظاهرة الغزل العذري من القراءة السياقية الى لقراءة البنيوية التكوينية	د. بشرى محمود ابراهيم القيسي	٢٧٦_٣٢٦
تركيب الحروف واثره في المعنى	أ.م.د عمر علي محمد الدليمي	٣٢٧_٣٨٤
المعنى واثره في توجيهات المعربين	د.فلاح ابراهيم نصيف الفهداوي	٣٨٥_٤١٩
ما يدخل في عموم لفظه وما لا يدخل (اصول وتطبيقات)	د. محمود عبد العزيز العاني	٤٢٠_٤٥٩
سمات الشخصية السوية لدى طلبة كلية التربية الاساسية	م. خوشي لطيف طه	٤٦٠_٤٩٦
مكانة الحيرة السياسية في التاريخ العربي الاسلامي حتى نهاية العصر العباسي الاول	د. مها اسعد عبد الحميد طه	٤٩٧_٥٣٨
الحزن والتشاؤم في شعر ابراهيم ناجي	أ.م.د احمد حميد كريم	٥٣٩-٥٧٠
رعاية الروح والمادة في الفكر الاسلامي	د. ظاهر فياض	٥٧١_٥٩٤

الحزن والتشاؤم في شعر إبراهيم ناجي

١٨٩٨-١٩٥٣

Sadness and pessimism in the poetry of Ibrahim Naji

1898-1953

الاستاذ المساعد الدكتور
أحمد حميد كريم

جامعة بغداد
كلية العلوم الاسلامية ـ قسم اللغة العربية

المقدمـــــة

شهد القرن العشرين تطورات واسعة في مجالات الحياة كافة ومن بينها تطورات في مجال الأدب وعلى الصعيدين العالمي والعربي ، كما شهد هذا القرن حوادث كبرى كالحروب والاحتلال وعقد التحالفات وتوقيع معاهدات استعمارية أو اقتصادية ، فضلا عن التطورات الهائلة في مجال الطباعة والترجمة وظهور الأحزاب السياسية ونشوب الثورات الوطنية ، ولم يكن المجتمع العربي بمنأى عن تلك التطورات ، بل كان هو محورها الأساس ، فكان من الطبيعي أن تنعكس تلك التطورات على الحياة الأدبية على الصعيدين العالمي والعربي ، الامر الذي أدى إلى ظهور مذاهب أدبية جديدة كالرومانسية والواقعية والوجودية والبرناسية وغيرها من المذاهب الأدبية الأخرى ، وكان لابد أن يتأثر الأدباء العرب بتلك النهضة الادبية وببعض أدباء الغرب بسبب الاتصال الحاصل بينهم و بين الأدباء العرب ، سواء أكان ذلك الاتصال عن طريق المهجر أم عن طريق الأدباء الذين وفدوا من بلاد الغرب، الأمر الذي تمخض عنه ظهور مدارس أدبية حديثة في الوطن العربي وعلى وجه التحديد في سوريا ولبنان ومصر ومن بينها ، مدرسة المهجر و مدرسة الديوان ومدرسة إبولو و مدرسة الشعر الحر ، وبدأت أسماء الأدباء العرب من الكتّاب والشعراء تسطع في سماء الوطن العربي، تتحرى التجديد في الشكل أو في المضمون أو في الشكل والمضمون معا ، وكان الشاعر إبراهيم ناجي من بين تلك الأسماء اللامعة المؤمنة بالتجديد وتحرير الشعر من قيود الماضي و تخليصه من صخب الحياة وضجيجها ، فهو من الداعين إلى الوحدة العضوية والموضوعية في بناء القصيدة العربية ،ومن المنادين بأن يكون الشعر تعبيرا عن التجربة الإنسانية ، ومن أشد المتأثرين بالمذهب الرومانسي المعروف بظاهرة لحزن والتشاؤم، وبعد آطلاعي على دواوينه الشعرية ارتأيت أن أقوم بدراسة جانب من شعره فجاء البحث بعنوان (الحزن والتشاؤم في شعر إبراهيم ناجي من ١٨٩٦- ١٩٥٣)

وجاء البحث على مقدمة وفصلين ، تضمن الفصل الأول حياة الشاعر وآثاره الأدبية ومفهومه للشعر وخصائص شعره أما الفصل الثاني فقد سلط الأضواء على ظاهرتي الحزن والتشاؤم في شعر إبراهيم ناجي ، فتحدثت عن حزنه بسبب فشل تجارب الحب التي مر بها ، ثم تناولت الحزن بسبب مرضه أو مرض صديق له ، ثم الحزن بسبب الوحدة ، يلي هذا الفصل الخاتمة ثم ثبت بالمصادر والمراجع ، وملخص باللغة الانكليزية ولا يفوتني وأنا أكتب صفحات هذا البحث أن أ شير الى مقال بعنوان (الحزن والألم في شعر ابراهيم ناجي) نشر على صفحات الأنترنيت لباحث ايراني الجنسية

اسمه (بهمن هاديلو) وهو مقال صغير لم يستوعب دواعي الحزن في شعر ناجي ، ولذلك مضيت في عملي لإنجاز هذا البحث وتسليط الضوء على ظاهرة الحزن والتشاؤم في شعر ابراهيم ناجي .

وأخيرا وليس آخرا أرجو الله العزيز القدير أن أكون قد وفقت في أنجاز هذا البحث ، و في رفد المكتبة العربية بلبنة مضافة إلى بنائها الشامخ ، ومن الله استمد العون والتوفيق .

الفصل الأول

أولاً : حياته :

هو إبراهيم ناجي بن إبراهيم القصبجي ولد في (شبرا) بالقاهرة[1]، وقد آختلف الأدباء في تأريخ ولادته ، فقد ذكر د . شوقي ضيف في كتابه الموسوم (الأدب العربي المعاصر في مصر) أن ولادة إبراهيم ناجي سنة ١٨٩٨ [2] في حين ورد في ديوان الشاعر أن ولادته هي يوم ٣١ / كانون الأول / ١٨٩٨ وبذلك يكون ابراهيم ناجي من مـــواليد ١٨٩٩ على رأي سامي الكيالي [3] ،والباحث يرجح هذا التأريخ لأنه دوّن بعلم الشاعر نفسه .

كان والده يعمل في شركة البرق ، وهي إحدى الشركات الإنكليزية التي كانت تعمل في مصر يوم كانت مصر تحت سيطرة الإنكليز ، وكان والده يجيد اللغة الإنكليزية ومتمكن من اللغتين الفرنسية والإيطالية ، وكان شغوفا بالمطالعة ويمتلك في بيته مكتبة عامرة بأمهات الكتب العربية والأجنبية [4] ، بهذا الوسط العائلي نشأ إبراهيم ناجي ، فما كاد يحبو حتى أرسله أبوه إلى مدرسة المحلة ، ويبدو لي أن هذه المدرسة هي المحطة الأولى التي يضع فيها الأطفال أقدامهم على أعتابها ، أنها مرحلة الروضة ، وما أن بلغ الخامسة من عمره حتى أدخله أبوه المدرسة الابتدائية فاجتازها بتفوق عام ١٩١١ [5] ثم واصل دراسته الثانوية بالمدرسة التوفيقية في شبرا وتخرج فيها سنة ١٩١٧ ، وفي هذه المرحلة أصبح شاعرنا بين مفترق طرق ، وبدأت الحيرة تعرف طريقها الى قلبه ، وبدا في حيرة من أمره وتحديد مستقبله ، وبدأ يتساءل ، أينتسب إلى كلية الآداب أم إلى كلية العلوم .

وكان الشاعر ميال إلى دراسة الادب لولا تأثره بمدرس الرياضيات الذي كان يشجعه على الانتماء إلى كلية العلوم ، ويبدو أن هذا المدرس قد أثر في اختياره ، الأمر الذي أدى بالشاعر إلى آختيار الفرع العلمي الذي آجتازه فيما بعد بنجاح باهر ، التحق بعدها بكلية الطب وتخرج فيها سنة ١٩٢٣ [1]، وعين طبيبا في منطقة نائية ألا أنه لم يلتحق بوظيفته ، وآكتفى بفتح عيادة مارس فيها مهنة الطب ، ونجح فيها، وظل يمارس هوايته

الأدبية إلى جانب ممارسة مهنته الإنسانية ،وكان يعامل مرضاه معاملة طيبة ، وفي كثير من الأحيان يبدي مساعدته لهم بامتناعه عن استيفاء أجور الفحص، وفي بعض الأحيان يدفع لهم أجور الدواء من ماله الخاص ، تعرض الشاعر الى إحباط شديد في حياته الادبية بعد إطلاعه على النقد الحاد الذي كتبه الدكتور طه حسين عن ديوانه الأول (وراء الغمام) ، فضلا عما كتبه عنه نقاد آخرون [٢] .

كان إبراهيم ناجي من مؤسسي جماعة أبولو التي تأسست سنة ١٩٣٢، ثم أنشأ رابطة الأدباءسنة ١٩٤٦، ولما أنشأت جمعية أدباء العروبة أختير ناجي وكيـــلا لها [١] ، أما عن صلته بالمجتمع فكان محبا للناس كثير الاتصال بهم اجتماعيا (مشرق الروح ، أنيس المجلس ، تحس وأنت تجلس معه كأنه عبور فزع ، فهو كثير التلفت ، لا يهدأ له قرار ، ولكنه يملأ الجو حوله مرحا بفكاهته الخفيفة وعذوبة روحه القلقة) [٢] ، لبى الشاعر نداء ربه ، وانتقلت روحه الى بارئها في شهر مايس سنة ١٩٥٣ [٣] تاركا وراءه دواوينه الشعرية وأثاره الادبية أخرى .

ثانياً : آثاره :

ترك الشاعر إبراهيم ناجي أثاراً عدة أهمها :-

(١) ديوان وراء الغمام ، صدر عام ١٩٣٤.

(٢) ديوان ليالي القاهرة صدر عام ١٩٤٣ .

(٣) ديوان الطائر الجريح صدر هذا الديوان بعد وفاته عام ١٩٦٠

(٤) ديوان إبراهيم ناجي الذي أصدرته وزارة الثقافة المصرية سنة ١٩٦٠ وهو ديوان ضم الدواوين الثلاثة السابقة فضلا عن بعض القصائد التي لم تذكر فيها .

(٥) ديوان إبراهيم ناجي الذي أصدرته دار العودة في بيروت عام ١٩٨٦ .

(٦) قام إبراهيم ناجي بترجمة بعض القصائد الفرنسية لبودلير وضمنها في ديوانه (أزهار الشر) [٤] .

(٧) نشر دراسة عن شكسبير ، وقام بإصدار مجلة حكيم البيت .

(٨) ألف بعض الكتب الأدبية ، مثل الأحلام وعالم الأسرة .

(٩) أسهم مع إسماعيل أدهم في تأليف كتاب (توفيق الحكيم الفنان الحائر) [٥]

(١٠) له رسالة بعنوان كيف نفهم الناس . [٦]

(١١) له كتاب بعنوان رسالة الحياة ، وشوقي وأنداده [٧]

هذا فضلا عن أبحاث أخرى تناثرت في الصحف والمجلات وقد آختصت مجلة الحديث بنشر بعض منها . ومن تلك الأبحاث مشكلات العصر الحديث ، الشعر العربي الحديث ، سيكولوجية الادب ، الوعي الأدبي ، المدينة ، سيكولوجية المرأة ، الغريزة الجنسية ، الضمير ، الاقتدار ، حياة شكسبير (٨)

ثالثا : مفهوم الشعر عند إبراهيم ناجي :-

من المعروف أن الشاعر إبراهيم ناجي من الشعراء المجددين الذين ينتمون إلى مدرسة أبولو والذين ينزعون إلى المذهب الرومانسي وهو مذهب قائم على منزع فلسفي (قوامه التشاؤم الفلسفي الناشئ من خيبة الإنسان في اكتشاف الحقيقة في وسط هذا العالم المتغير) (١)ومن هذا المنطلق وجد الشاعر ضالته المنشودة ، فجاء شعره معبرا عن فلسفة الحياة وعن الذات الإنسانية . ووجد فيه روضة غناء رائحتها كرائحة عبير الجنة على حد تعبير الشاعر نفسه ومن ذلك قوله :

الشعرُ روضٌ يانعٌ وعبيرُهُ سارَ إلينا من عبيرِ الجنةِ

والشعر كما يراه ناجي ، رحمة للنفوس ومجالا رحبا يعبر من خلاله الشعراء عن أزماتهم النفسية وانفعالاتهم ومشاعرهم الذاتية ، فهو وعاء كبير يحتوي المشاعر والأحاسيس كافة ، بما فيها من حزن وتشاؤم وسوداوية أو فرح وسرور وابتهاج ، ومن ذلك قوله :

يا أيَّها الشعرُ الذي نطقتْ بهِ روحي وفاضَ كما يشاءُ جناني (٢)

والشعر وتر للمنى وقيثارة للزمن يعزف عليها أهات الأولين ومآسي الآخرين وحسراتهم، فالشعر ناي يردد شجن الآخرين ، وقيثارة تعزف ألحان الحزن منذ قديم الزمان ، وهو أنشودة الروح والحياة تصدح في أهات الشعراء بما فيها من حب حزين مليء بالألم ، ويجمع ناجي كل هذه المفاهيم بقوله :

إنّما الشعرُ مزهـــرٌ قد حكا قصةَ الأممْ
هو ناي مرجـــعٌ لشجي وما كتمْ
هو قيثارةُ الزمـــا ن ونجوى من قهمْ
هو أنشودة الحيـــ ةِ وفيضٌ من النغمْ
هو آهـــاتُ شاعرٍ عرفَ الحبَ والألمْ (٣)

ومن ذلك أيضا قوله :

للشعرُ مرحمةُ النفوسِ وسرهُ هبةُ السماءِ ومنحةُ الديَّانِ
يا سلوتي في الدهر يا قيثارتي مالي أراك حبيسة الألحان [٤]

والشعر عنده نافذة يطل من خلالها على الحياة ويشرف منها على الأبد ، ويذهب الشاعر إلى أبعد من هذا حين يقول (هو الهواء الذي أتنفسه وهو البلسم داويت به جراح نفسي عندما عز الأسلة) [٥]

لقد عبر إبراهيم ناجي عن أحاسيسه ومشاعره المفعمة بالحزن على حسب وظيفة الشعر التي رآها هو ، وعلى ضوء ليلاه التي عزف على أوتارها أحزانه ومأساته وتشاؤمه ، ونعى على نغماتها حبه الضائع وألمه الدفين ، ووقف من خلاله على أطلال أحبائه وذرف الدموع وردد أصوات الشجن وعبر عن فيض مشاعر الفراق والألم ، وخلاصة القول أن الشعر عند إبراهيم ناجي فيض من قلبه وروحه مؤطر بوشاح أسود حزين مليء باللوعة والحنان والشجن العميق .

رابعاً: خصائص شعره:

ما لاشك فيه أن هناك عوامل كثيرة ساعدت على تنمية موهبة الشاعر إبراهيم ناجي ، نا نشأته في بيت علم وأدب ، كما أشرت سابقا، وكما هو معروف أن والده كان يمتلك مكتبة كبيرة عامرة بأمهات الكتب الأدبية والدواوين الشعرية ، الأمر الذي هيأ له فرصة قراءتها والإطلاع عليها ، لقد وجد الشاعر في أبيه (الذي كان ينزع إلى قراءة الآثار الأدبية في العربية والإنكليزية موجها ممتازا) [١] له ، ولم يكن والده موجها له فحسب وإنما كان يقرأ معه أيضا في بعض الدواوين الشعرية ، منها دواوين الشعراء الشريف الرضي وأحمد شوقي وخليل مطران وحافظ إبراهيم ، فضلا عن قراءته معه بعض الآثار الأدبية الغربية ومن بينها أثار الكاتب الإنكليزي ديكنز ، والملاحظ أن ناجي قد قرأ لشعراء مدرسة النهضة كثيرا ، فضلا عن الشعراء المجددين أمثال مطران خليل مطران، ولذلك نجده ميالا إلى التجديد في شعره ، وهذا ما أشار إليه الدكتور شوقي ضيف ، أن إبراهيم ناجي كان متأثرا بالشاعر خليل مطران ومعجبا به [٢]، وقد يكون ذلك صحيحا في المرحلة الأولى من حياته ، لأن هناك من أشار إلى شعراء آخرين تأثر بهم ناجي من بينهم الشريف الرضي وأحمد شوقي ، وقد تكثر أسماء الشعراء في هذا المجال حتى يحسمها ناجي نفسه قائلا (هناك شاعران ، وشاعران فقط درستهما جيدا وأحببتهما حبا صادقا كبيرا ، وكان لهما أثر كبير في حياتي وتفكيري ، الأول شكسبير وقد حاضرت عنه كثيرا ونشرت إحدى محاضراتي في (الحديث) الذي يعجبني فيه أنه

غير محدود ، واسع كالفضاء متغير كالطبيعة التي تجمع بين الجبل الأشم والفقاعة الصغيرة ، وفوق ذلك فهو صادق ، ولذ لك أحببته لا كشاعر بل كصديق وسأقرأ أبدا ولا أمل قرأته ، والثاني المتنبي والذي جعلني أحبه رجولته التي تبدو في كل بيت ، وأحبه لأنه كان إنسانا يتكلم عن لسان الإنسانية وأجمعها ، ويشرح القلق المستمر في أعماقها والعذاب اللازم لأعصابها ، وكشف كشفا عجيبا ذلك الطلاء المزيف الحقير الذي تستر به ذلك القلق والعذاب .) [٣]

ومن العوامل الأخرى التي ساعدت على تنمية مواهب الشاعر إبراهيم ناجي ، إتقانه لغتين أجنبيتين هما اللغة الإنكليزية واللغة الفرنسية اللتين مكنتا الشاعر من الإطلاع على آثار أدبية أجنبية ، هذا فضلا عن شغفه الكبير في القراءة (فعب ونهل ما شاء من الآداب الغربية وخاصة آداب الرومانسيين الذين يتفقون وأحلامه بالحب والحياة) [٤] وكان شديد الإعجاب بالشاعر الإنكليزي لورنس ، كما كان معجبا كثيرا بالشاعر الفرنسي بودلير ، وطبع له بعد وفاته دراسة مصحوبة بترجمة طائفة من قصائده المبثوثة في ديوانه (أزهار الشر) وترجم للفرقة القومية مسرحية (الجريمة والعقاب) لديستويفسكي ، كما ترجم للفرقة نفسها المسرحية الإيطاليـــــة(الموت في إجازة) وكتب قصيدة (أغنية الريح الغربية) لشيلي فـــــــي شعره المرسل [١] .

وإذا كانت نشأته في بيئة متعلمة أتاحت له فرصة الإطلاع عن كثب على الكتب الأدبية العربية والأجنبية ، فإنه أكتسب من تلك البيئة أيضا بذور الحزن والتشاؤم لاسيما من القصص التي كان والده يقرؤها لزوجته ، وكان الشاعر إبراهيم ناجي طفلا صغيرا آنذاك ، يستمع لتلك القصص ويتأثر بها كثيرا ، يقول الشاعر عن ذلك :(ذات ليلة . منذ ثلاثين عاما سمعت أبي يقص على أمي رحمها الله قصة ، أوليفر وتويست . لتشارلز ، لا أزال أذكر تلك الليلة وهيهات أنساها) [٢] و يسترسل الشاعر في كلامه قائلا (كانت ليلة من ليالي الشتاء والمطر يقرع النوافذ بعنف وقد سكن الحي سكونا تاما ولم أعد أسمع حتى صوت الخفير .. كنت طفلا كثير التفكير وأصغي إلى صوت المطر وإلى عصف الرياح ، فأطيل الإصغاء وأدمن التأمل وأبني في خطري لنفسي قصة من قطرات المطر وعصف الرياح ... ومرت ليلة بعد ليلة بعد أخرى حتى سمعت أوليفر تويست لأخرها ، وطالما رأيت هذا الطفل المعذب في نومي ، وطالما شكوت لأبي أن ثيابه الرثة تزعجني) [٣]هذا فضلا عن قراءته دافيد كوبر فليد ، التي يقول عنها الشاعر أنها قد خلقت (مني شاعرا وجعلني أبحث عن (دورا)أخرى أشرب من عينيها كأس الحياة وأتلي من شفتيها أسرار الوجود .. لقد عذبتني (دورا) هذه وشطرت روحي شطرين)[٤]

ويبدو أن ذلك قد أثر في أحاسيس الشاعر ، فأصبح يميل إلى السمو بالمرأة فهو (لم يرها جسدا بل نسمة حلوة وأغنية طاهرة وهمسة ناعمة) [٥] موشحة بإطار حزين .

ولم يكتف ناجي بقراءة الكتب الأدبية وإنما التفت إلى قراءة كتب أخرى من بينها كتب علم النفس وألف كتبا ورسائل في هذا الاختصاص، منها رسالة بعنوان (كيف نفهم الناس) وكتابا بعنوان (رسالة الحياة) ضمنه (طائفة من خواطر في الادب والنفس والعقل والحضارة والقد والشباب) [٦] هذا فضلا عن معاصرته لمرحلتين من مراحل الشعر ، هما مرحلة النهضة ممثلة بشعرائها الذين أشرت إليهم من قبل، ومرحلة التجديد ممثلة بالمدارس الأدبية الحديثة مثل مدرستي الديوان وابولو وشعراء المهجر ومدرسة الشعر الحر ، فضلا عن تأثره بالمذاهب الأدبية كالرومانسية والرمزية والواقعية والبرناسية والسريالية [٧] ، وكان لابد لإبراهيم ناجي أن يتأثر بحركات التطور والتجديد وبما فيها من شعر وجداني (يقوم على تصوير خلجات النفس إزاء الحب والطبيعة دون العناية بحياة المدينة أو حياة الناس من حولهم .) (١)

إن هذه العوامل قد أثرت كثيرا في موهبة الشاعر إبراهيم ناجي ، وطبعتها بطابع الحزن والتشاؤم فضلا عن استعداده النفسي للانتماء إلى الطبيعة المتشائمة .

زد على ذلك تأثره في بداية حياته الأدبية بشعراء النهضة ،كما نوت سابقا، ناهيك عن تأثره بشعراء الغرب ومن بينهم دي موسيه ولامارتين وشلي و كيتس وغيرهم ممن عرف بالنزعة التشاؤمية [٢] فضلا عن تأثره بالمذاهب الأدبية الحديثة [٣] فقد تأثر ناجي بالمذهب الرومانسي وبما يمثله هذا المذهب من تشاؤم ويأس وصبغة سوداوية وأسلم (زمام شعره لنفسه ولحمى الرومانسيين وسرعان ما ظهر على شعره طفح هذه الحمى)[٤]، فضلا عن ذلك الأثر الغربي الذي كان (يتلبد بغيوم سوداء تنذر بوقع كارثة عالمية ، فما أن حل عام ١٩٣٩ ، حتى اندلعت الحرب العالمية الثانية)[٥] الأمر الذي عمّق في نفسه آثار الحزن والكآبة والتشاؤم .

كما عرف ناجي بانتمائه إلى جماعة ابولو التي أسست سنة ١٩٣٢وكان هو أحد أركانها، فقد أشترك مع أحمد زكي أبو شادي في إصدار العدد الأول من مجلة أبولو ، وفي العام نفسه ، صدر العدد الثاني من المجلة المذكورة وكان (مجلس إدارة جمعية أبولو يتألف من حضرات أحمد شوقي بك رئيسا وخليل مطران وأحمد محرم نائبي الرئيس واحمد زكي أبو شادي سكرتيرا ومن حضرات الأعضاء الدكتور إبراهيم ناجي وكامل الكيلاني وغيرهم)[٩] و يبدو أن شاعرنا كان من نشطاء هذه الجماعة ، ففي الانتخابات التي أجريت في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٣ أنتخب ناجي

وكيلا لجماعة أبولو إلى جانب رئيسها خليل مطران ووكيلها الثاني أحمد محرم وسكرتيرها أحمد زكي أبو شادي [٧] ، إن جماعة ابولو عرفت بميولها إلى التجديد (على أن التجديد في نظر هؤلاء الشبان لم يكن غائما في نفوسهم غامضا أمام أعينهم وإنما كان شيئا يملأ نفوسهم وخواطرهم ويعبرون عنه بوضوح وجلاء من خلال نتاجهم الشعري المتنوع النزعات)[٨] والمعبر عن مشاعرهم وانفعالاتهم الوجدانية ، ويمثل هذا التيار المعاصر (تيارا وجدانيا يتميز بالتفنن في تصوير التجارب الذاتية والتعبير عن هواجس النفس الإنسانية وما يعتمل فيها من عواطف وشوق الى المجهول وحنين إلى المرأة والطبيعة) ، وكان تطلع هذه الجماعة إلى التجديد في الشكل والمضمون ، فهم يدعـــون إلى الوحدة العضوية

والموضوعية والى التحرر من قيود البيان والبديع ، واستقلال شخصية الأديب والتحرر من الصنعة والتكلف [١] ، لقد درج أصحاب هذه المدرسة (يصورون ما في أنفسهم من حزن وألم وحيرة وضياع ، ويدورون في نتاجهم حول تجاربهم الذاتية)[٢] والشخصية .

لقد وجد إبراهيم ناجي في هذه الجماعة أرضا خصبة للتعبير عن آلامه وحيرته ويأسه وتشاؤمه محلقا بعالمه الرومانسي القائم (على منزع فلسفي قوامه التشاؤم الفلسفي من خيبة الإنسان في آكتشاف الحقيقة في وسط هذا العالم المتغير)[٣] ،

وبدا في معظم شعره رومانسيا حزينا ، فشعره ذاتي يكاد يكون مخلصا للحب والهجر والحرمان ، فهو يعبر عن حب محروم ونظرة حزينة متشائمة وروح مكتئبة فضلا عن خيبة أمله في الإنسان .

إن انتماء إبراهيم ناجي إلى جماعة ابولو قد أثر كثيرا في صقل موهبته ، وهذا ما عرفه الشعراء عنه ومنهم الشاعر احمد زكي أبو شادي الذي قال في قصيدة نظمها تحت عنوان (إلى ناجي الشاعر) وكأنه يخاطب أحاسيس إبراهيم ناجي قائلا :

كأني غريبٌ في وجود معـــــذبُ ... وعندَك ألقى عالمَ الحبِ والنغما

عواطفُ تزري بالزمان وعمرُها ... هو الكون لا ندري لغايتهِ عمـا

لئن عدّ حبي فـــي جون ونشوة ... فللفن حمى لن تقاس بها حمـى

وكان أبو شادي يطلق عليه تسمية (شاعر اللهفة والشاعر العاطفي المطبوع)[٤] ،لقد كان شعر ناجي شعرا غنائيا (يفيض من داخله ويعبر عن ذاته وينزل عليه من سماء الإلهام)[٥] .

أن شعره (كجوهر الجمال في الأشياء الجميلة مخبوء وبعيد المنال لا يدركه إلا الفنان الكبير الذي وهب نفسه لإدراك خصائصه وطرائقه ومميزاته)[٦] وهو قطعة من حياته يعرضها لنا من خلال مزاجه وينقلها إلى الجو الذي خلقه في شعره ، فنشعر به وكأننا نعيش تفاصيله ونتحرك معه [٧] .

الفصل الثاني

الحزن والتشاؤم في شعر إبراهيم ناجي

إن مظاهر الحزن والتشاؤم ظاهرة واضحة في شعر إبراهيم ناجي ، فمجرد النظر إلى عنوانات قصائد ديوانه الأول (وراء الغمام) تتضح صور الظمأ والشوق والحرمان والشجن والحنين والهروب من الواقع ، ومن تلك العنوانات :

الناي المحترق ، المنسي ، الميت الحي ، الوداع ، الجمال الضنين ، ليالي الأرق ، مناجاة الهاجر ، رجوع الغريب ، وداع المريض ، الأجنحة المحترقة وغيرها من القصائد [٣] التي توحي بالحزن والكآبة والتشاؤم ، وتتكرر مثل هذه العنوانات في ديوانه الموسوم (ليالي القاهرة) [٤] منها: في الظلام ، أحلام سوداء ،الميعاد الضائع ، لقاء في الليل ، حكام الليالي ، الأطلال رسائل محترقة ،بعد الفراق ، النسيان ، آمال كاذبة ، الراهبة الباكية ، وهي عنوانات كلها توحي بالحزن والكآبة والتشاؤم ، ونلمح مثلها أيضا في ديوانه الموسوم (الطائر الجريح) [٥] ، ومن ذلك قصائده : بقايا حلم ، في ظلال الصمت ، وحيد ،أيها الغائب ،الفراق ، ذهب العمر ، وغيرها .

لقد عبر الشاعر ناجي في هذه الدواوين الثلاثة عن أحاسيسه الذاتية الحزينة وتشاؤمه ونظراته القاتمة السواد للحياة، وإذا كان ثمة من يحاول أن يحصي دوافع الحزن والتشاؤم في شعره سيجد إن الدافع الأول لتلك المشاعر ، هو فشله في تجارب الحب ، وبسبب الهجر والنسيان والغربة ، الأمر الذي دفع به إلى الوقوف على الأطلال ومناجاة الحبيب ، أما الدافع الثاني الذي أجج في نفسه مشاعر الحزن وأحاسيس الألم والحرمان ، فهو موقفه من المرض والموت ، فقد يحزن إبراهيم ناجي كثيرا إذا ألم به مرض ، أو إذا فَقَدَ أحد أصدقائه ، أما الدافع الثالث فهو بسبب معاناته من الوحدة القاتلة

لقد عبر إبراهيم ناجي عن أحاسيسه الشعرية وجعل من قصائده قلائد نفيسة أججت في نفسه مشاعر الحزن والألم ، ويبدو أن بعض تلك الأحاسيس كانت نابعة من تجارب شخصية ذاتية ، ولذلك كانت مفعمة بمشاعر الحرمان والآهات والأشجان ، فقصائده تمثل عمق تجاربه وفيض أحاسيسه المرهفة الموشحة بالتشاؤم والسوداوية ، وكان حزنه نابعا من هجر الأحبة ونسيانهم له ، فضلا عن كبته لمشاعر فياضة تجاه من يحب ويهوى ، لقد كان ناجي مولعا بالحب (فلعبة الحب مستمرة ومتجددة ومترسبة ترسل حياة البشرية منذ آدم إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها) [٦] ، ومن تلك القصائد: المنسي ، ساعة اللقاء ، الميعاد ، الليالي ، مناجاة هاجر ، أغنية في هيكل الحب ، دعاء الراعي . عتاب ، الحنين ، تحليل قبلة ، العودة ، ليالي الأرق ، صخرة الملتقى ، قميص الأحلام ، الأطلال ، يأس على كأس ، كبرياء ، بعد الفراق [٧] . وغيرها من القصائد ، فدواوين ناجي متشابهة في المضمون وكأنها قصيدة واحدة شجية النغم ، تعبر عن حزن عميق وتشاؤم دائم ، وكأنها قطعة وجدانية أقتطعها ناي من قلبه الحزين، فدواوينه كلها تزخر (بالألم ، نجده في كل صفحة من)[٨] صفحاتها ، ليس فيها تفاؤل ولا تطلع إلى مستقبل مشرق ، وفيما يأتي أهم تلك الدوافع ، وتجنبا للإطالة سأكتفي بتحليل قصيدتين إثنتين من كل دافع من دوافع حزنه وكما يأتي :

أولاً: الحزن بسبب الفشل بتجارب الحب :

عُرف إبراهيم ناجي بتلهفه وتعطشه للحب المقترن بالظمأ و الحرمان الشديد، ففي قصيدته الموسومة (الميعاد) [٩]

صوّر الشاعر أحاسيسه العميقة تجاه حبيبته التي أخلفت ميعادها له بعد أن طال آنتظاره لها وتلهفه للقائها ، الأمر الذي أصابه بإحباط كبير فأثار في نفسه الحزن والتشاؤم ، إلا انه مع ذلك باق على حبه ووفائه لها ، يقول ناجي معبرا عن ذلك :

إن عدتِ لم أخلفتِ لم تعدِ أنا ألفُ روحكِ آخرَ الأبدِ

لقد آستهل ناجي بيته الشعري بـ (إن) الشرطية في تحقيق ذلك الموعد ، لأنه يتوقع لقاءها ، ولكنه في الوقت نفسه لا يستغرب من تخلفها عن الموعد ، والأمر كما يبدو عنده سيان، على الرغم من الآلام التي يشعر بها، لأنه يعشق حبيبته ، ويؤكد لها بأنه هو وحده الذي يعشق روحها ولا أحد غيره ، فيعبر عن ذلك من خلال استعماله لضمير المتكلم (أنا) الملازم لعبارة (ألف روحك) ، سواء أحضرت حبيبته الميعاد أم تخلفت عنه ، فأن ذلك لن يؤثر على أحاسيسه تجاهها ، فحبه لها غير مرتبط بساعة من الوقت

لأنه (حب أبدي) باق على مر الزمن . على الرغم من تعطشه الشديد للحب وعلى الرغم مما يسبب له من حزن ويأس وتشاؤم ،وهذا ما عبر عنه قائلا :

ظمأٌ على ظمأٍ على ظمأٍ ومواردٌ كثرٌ ولم أردُ

إن أحزان الشاعر لم تنشأ بسبب عم حضور حبيبته ذلك اللقاء فحسب ، فهذه المناسبة لا تشكل إلا سببا واحدا من تلك الأحزان، فحياته كلها (ظمأ) ولهفة وحرمان، أن كلمة ظمأ تشير إلى عمق تأثر الشاعر إبراهيم ناجي ومدى حاجته للحب ، ولذلك كررها ثلاث مرات ، أن شاعرنا يشعر بشدة الظمأ على الرغم من كثرة (الموارد) المحيطة به التي يستطيع من خلالها أن يروي ظمأه وعطشه ، لقد استعمل الشاعر كلمة (الموارد) وهو يريد بها كثرة النساء من حوله اللواتي من الممكن أن يطفأن ظمأه ، ولكنه آثر أن يبقى على ظمأه من دون أن يرتوي من إحداهن، إن امتناع الشاعر عن الارتواء من مورد آخر يشكل دليلا قاطعا أراد من خلاله أن يفصح عن شدة وفائه وعمق حبه لحبيبته صاحبة الموعد ، وإنه لا يسأم ولا يمل من حبها ويظل يعشقها حتى وإن أهلكه الظمأ الشديد ، و أفنى عمره بأكمله بانتظارها ، فيقول :

مر الظلامَ وأنت في شجنٍ وأتى النهارُ وأنتِ في خلدي

أن صورة الحبيبة خالدة في وجدان ناجي وفي خاطره ، فهي ملازمة له عبر حلقة مفتوحة من الزمن، في نهاره وليله .

لقد استهل الشاعر بيته الشعري بعبارة (مرَّ الظلامُ) وأراد من خلالها تجسد صورة سهر الليل الطويل ، وما فيه من سهد وتقلب المضاجع واضطراب الأفكار ، ويبدو أن ظلام ليل الشاعر كان حالكا لم ير فيه للقمر أو للنجوم أثرا ، إنه ظلام دامس يغرق صاحبه في هوة عميقة من التأمل والخيال والحنين ،ثم أستعمل الشاعر عبارة (حل الظلام) وقرنها بعبارة (وأتى النهار) وكرر ضمير المخاطب (أنت) ليرسم صورة آستمرار مشاعر الحزن والشجن في الليل والنهار بسبب جفاء الحبيبة وإهمالها ونسيانها له وتجاهلها لمشاعره ، ويلتفت ناجي الى الطبيعة ويخلع عليها من أحزانه ومن ثورة قلبه العليل ، ولذلك يشبه حبيبته بالبحر الغاضب الهائج المتمرد الذي لا يلتفت الى معاناة الاخرين ولا يراعي مشاعرهم وأحزانهم وشكواهم ، وما يسبب لهم من ضنك ومتاعب جمة ، فيقول :

لا يسمعِ القلبُ الغضوبُ الـى شاكٍ ولا يصغي الى أحدِ
كم لاحَ لي حربُ الحياةِ على أمواجهِ المجنونةِ الزبـــدِ
ورأيتُ طيفَ الضنكِ مرتسماً في عاصفِ الانواءِ مطردِ

في الليل مـــــدَّ رواقَـهُ وثوى كجوانحٍ طويت على جسدِ

فالحياة مظلمة في نظر ناجي مليئة بالمصاعب، يلفها الاسى ويجثم على صدرها الحرمان فصور نفسه في قبر مظلم قائلا :

قبرٌ مباهجُـهُ بلا عدد لفتى متاعبُـهُ بلا عـــددِ

مــن يومهِ يومٌ بلا أمل وغدٍ بلا سلوى وبعــد غد

أن ظاهرتي الحزن والتشاؤم واضحة في هذين البيتين ، سواء أكان ذلك من خلال المفردات التي أستعملها الشاعر مثل : قبر ، المتاعب ، بلا سلوى ، أم من خلال تكرار بعض العبارات لتأكيد معنى ينشد اليه، ففي البيت الاول أكد على ان القبر الذي يعيش فيه خال من مظاهر البهجة والسرور ، فوظف عبارة (بلا عدد) في الشطرين ليجسد معاناته، فهو في الشطر الاول لم يجد عددا لمباهجه في(قبره) وفي الشطر الثاني وظف العبارة نفسها ، فمتاعبه بلا عدد أيضا في يومه وفي غده أي في حاضره وفي مستقبله ، في محاولة منه للتعبير عن كثرة متاعبه في الحياة ، ويوظف الشاعر أداة الاستفهام الاستنكاري ويتساءل (مَنْ) من الناس يعيش حياته بلا أمل و يتطلع الى غد بائس بلا سلوى ؟ ولم يكتف الشاعر بغد وإنما أضاف (وبعد غد) وهو يؤسس لمستقبل حزين يائس ، ويبدو لي أن الامل الوحيد الذي كان يتعلق به الشاعر ليبعث السرور في حياته ويمده بومضات مشرقة يتمسك من خلالها بالحياة هو وجود الحبيبة ، لذلك يقول :

لولاك والعهد الــذي عقدت بيني وبينك مهجتي ويــدي

أضجعتِ جنبي جوفَ غيبتهِ وأرحتِ فيهِ بالِيَ الجســـــدِ

أن السقم الذي أصاب الشاعر من أثر الحب قد أورثه هيكلا باليا معتلا يعيش على عهد مضى وآنتهى ، ومع ذلك فهو يستذكره بين آونة وأخرى ليمنحه الأمل في الحياة ، على الرغم من ظلم الحبيب وصمته فيقول :

يا ظالمي عيناكَ كم وعدت قلبي إذا شفتاكَ لـــــم تعدِ

لقد آستعمل الشاعر (ياء النداء) وهو حرف يستعمل للمنادى القريب لأن الشاعر توجه بندائه الى التي تعيش في دمه وفي عقله وروحه ووجدانه ، فهي أقرب شيء اليه إنها (حبيبته الظالمة) ، والظلم الذي أطلقه الشاعر على حبيبته لا يشكل صفة مطلقة لها، لأنها قد لا يكون ظالمة مع أناس آخرين ، لذلك خص الشاعر نفسه بهذا الظلم دون غيره ، وجسد ذلك من خلال اقتران أسم الفاعل (ظالم) بـ (ياء) المتكلم .

إن الصورة التي رسمها الشاعر إبراهيم ناجي تجسد الأحاسيس المفعمة الحزينة ، ومحورها الاساس هو التراسل الحاد الذي يقوم على لغة العيون العاشقة المعبرة عن

الوعود والآمال ، فكثيرا ما يقع الإنسان تحت تأثير العيون ، وكم من نظرة أفصحت عن كلام كثير عجزت الألسن والشفاه عن البوح به ، ويبقي الشاعر صورة الحب محصورة بين الحواس الصامتة ممثلة بالعينين والقلب ، أن هاتين الحاستين تبقيان حسرة الحب وتلهف الاحبة ضمن دائرة الحرمان واضطراب المشاعر ، أما الشفاه وأجزاء النطق الاخرى وما ينتج عنها من كلام فلا دور لها في هذه الصورة للتعبير عن عمق الاحاسيس والمشاعر ، **سواء أكان ذلك التعبير** بصوت جهري أم مهموس ، ويبقى الشاعر في صراع ذاتي ومشاعر مكتومة لا يستطيع التعبير عنها بلغة الكلام ، ان لغة العيون التي دعا الشاعر الى استعمالها أعمق بكثير من لغته الشعرية التي هي عبارة عن لغة واضحة لا يحتاج القارئ معها الى الغور في عمق المعاجم اللغوية **للكشف عن** معانيها ، وإن كان هذا الاسلوب ينسجم تماما مع لغة الشعر العربي الحديث .

أن معظم قصائد الشاعر إبراهيم ناجي نابعة من تجارب شخصية ولّدت في نفسه التجربة الشعرية ، يقول ريتشاردز عن ذلك إنها (نزعة أو مجموعة من النزعات تسعى الى أن تعود الى حالة الهدوء **والسكون والذبذبة)** [١٠] وقد ينطبق هذا المفهوم على القصائد ذات المضامين الوجدانية التي نظم ناجي منها الكثير ، ففي قصيدته (**الاطلال)**[١١] ، يحكي قصة حب عاثر لم يبق منه سوى الذكريات المؤلمة الحزينة ، أنها قصة حب كانت نهايتها حزينة لأنها أصبحت أطلال جسد واصبح بطلها أطلال روح ، يقول ناجي معبرا عن تلك الاحاسيس :

إسقني واشرب على أطلاله ... **وأرو عني طالما الدمعُ روى**

كيفَ ذاكَ الحبُ أمسى خبراً ... وحديثاً مــن أحاديثِ الجوى

وبسطنا مــن ندامى حلــمٍ ... هـم تواروا أبدا وهو آنطوى

ففي هذه الأبيات يخاطب الشاعر فؤاده ، والفؤاد كما هو معروف مكمن العواطف والأحاسيس وهو مؤشر ينبض بالوجدان ، وكم من عاشق كان دليله قلبه ، أن خطاب الشاعر لقلبه يشكل حالة رثاء لذلك الحب الذي أصبح في دائرة الماضي ،ولذلك استعمل **الشاعر جملة (رحم الله** الهوى) أن استعمال هذه الجملة هو بمثابة تعزية للقلب لأنها من العبارات التي تستعمل في مجالس العزاء ولذلك استعملها الشاعر لعزاء نفسه ، ثم استعمل الشاعر الفعل (كان) وهو من الافعال الناقصة التي تفيد وصف حالة الحب وما كان عليه فيما مضى ، ثم يجيب الشاعر نفسه ، بأنه كان صرحا عظيما شامخا محلقا في الخيال ألا أنه هوى وتهدّم وتداعت أركانه فآنهار وتلاشى. ولذلك يحاول ناجي مواساة

نفسه ومداواة جروحه فيحاطب قلبه مطالبا أياه أن يساعده على تحمل تلك المأساة ، فيستعمل الشاعر فعلي الأمر (أسق، أشرب) للاطمئنان على استمرار حالة الحب والحياة ولكي يساعدان على رواية القصة المؤلمة فإذا كان القلب قد أسهم في رواية القصة فإن الدمع هو الاخر أسهم في روايتها أيضا ، هذا فضلا عن إفادة الشاعر من أداة الاستفهام (كيف) والفعل الماضي الناقص (أمسى) الذي يفيد حالة الفعل وقت المساء ، والذي يعبر عن سرعة التبدل والتغيير الذي طرأ على تلك القصة المفعمة بالحب والهوى والذكريات الجميلة التي سرعان ما انتهت فصارت فصولا تعصف بها الرياح ، يقول ناجي :

يا رياحاً ليس يهدأ عصفُها ... نضبَ الزيتُ ومصباحي آنطفـــا
وأنا أقتاتُ من وهمٍ عفـــا ... وأفي العمرَ لناسٍ ما وفـــــــا
كم تقلّبتُ علـــى خنجرهِ ... لا الهوى مالَ ولا الجفنُ غفـــــا

ففي هذه الابيات استعمل الشاعر كلمة (الرياح) استعمالا مجازيا وهو يريد بها العواطف والاحاسيس وشدة العواطف التي أحالت حياته إلى ركام ورماد ، فأصبح يعيش على وهم آندرس وعفا عليه الزمن بعد أن أفنى عمره بحب (ناس) لا يعرفون الوفاء ولم يعرف منهم إلا العذاب الشديد ، أن استعمال الشاعر كلمة (ناس) لبيان حجم حبه لشخص جمع فيه حب كل الناس .

وعلى الرغم من تكرار ظلم الحبيب له إلا أنه باق على حبه الذي أرقه وأسهره الليالي الطوال ، يقول ناجي في مقطع آخر من مقاطع القصيدة :

يا غراماً كان مني في دمي ... قدرا كالموتِ أو في طعمـــهِ
ما قضينا ساعةً في عرسهِ ... وقضينا العمرَ في مأتمـــــهِ
ما آنتزاعي دمعةً من عينهِ ... وآغتصابي بسمةً من فمـــهِ
ليت شعري أينَ منهُ مهربٌ ... أين يمضي هاربٌ من نفسه [١٢]

ففي هذا المقطع يعبر الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره وحبه من خلال استعمال عبارة (يا غراما) وربط ذلك الغرام بالفعل الماضي الناقص (كان) تعبيرا عن تلاشي الحب الذي كان يجري في كيانه وروحه ودمه فضلا عن سريانه في أجزاء جسمه كافه ، لأن غرامه كان بمثابة الدم من الجسد ، ثم يعود الشاعر فيصف غرامه بالقدر الذي يلازمه

طوال حياته ، ويشبه ذلك القدر(بالموت) أو في (طعم الموت) والحق أن الباحث لا يعرف للموت طعما ولكنه يرى أن الشاعـــر أنما أراد أن يعبر عن مرارة الغرام فاستعمل هذه العبارة استعمالا مجازيا ، وهو يريد بها ألـــم الفراق والتعبير عن آنقطاع الوصل وما ترك في نفسه من ألم عميق .ثم يؤكد الشاعر عن سعة هوة الفراق من خلال استعمال مفردات الزمن وما فيها من مناسبات جميلة فعبارة (ما قضينا ساعة من عرسه) تشير الى ان زمن السعادة والفرح الذي يمثله ذلك الغرام هو زمن قليل لا يتجاوز ساعة في كل الاحول ، وبالمقابل فأن زمن الحزن والالم والشكوى لستمرطول العمر ، فالشاعر يقضي عمره في (مأتم) بكل ما تمثله هذه المفردة من أحزان وآلام وأشجان .ومع هذه الاحاسيس والمشاعر السوداوية وفيض الاحزان فهو لم يستطع(آنتزاع دمعة من عيني الحبيب) وهنا تدل كلمة آنتزاع على المغالاة في الاحزان وشدة التأثر وربما التذلل والخضوع والتوسل بما يثير عليه الشفقة فينتزع دمعة من عيني الحبيب لعلها تشفي غليله ، وإذا كان شاعرنا لم يستطع أن ينتزع دمعة من عيني الحبيبة فهو لم يستطع أيضا ان يغتصب بسمة من فمها ، ومن المعروف أن الاغتصاب هو تعبير عن أخذ الشيء بالقوة وهو لا يريد اغتصاب شيء منها سوى بسمة جميلة تعبيرا عن الحب العذري الذي كان يحس به ، ومع ذلك فهو لم يستطع الحصول على مناله ، وكأن حبه محاط بالإهمال واللامبالاة ، ومع ذلك فإنه لا يستطيع الهرب من مشاعره وأحاسيسه وحبه ، وهو يتساءل عن المكان الذي يهرب اليه ليستريح ، فيستعمل اداة الاستفهام (أين) ثم يكرر هذه الاداة في الشطر الثاني ويتساءل وكأن التساؤل الثاني هو بمثابة إجابة عن السؤال الاول فيقول (أين يمضي هارب من دمه) ومع ذلك فإنه كان يدرك جيدا بأنه لا يستطيع الهرب ولذلك استعمل كلمة(ليت) التي تدل على استحالة حدوث الفعل ، فضلا عن تكرار كلمة دمي في الشطر الاول من البيت الاول وفي الشطر الثاني من البيت الرابع في المقطع نفسه ، ان مثل هذا التكرار انما هو تعبير عن عمق احاسيس الشاعر واشارة واضحة المضمون بانه لا يستطيع التخلص من مشاعره أو نسيان حبه.ولذلك يقول

لستُ أنساكَ وقد أغريتني	**بفمٍ عـــذبِ المناداةِ رقيقْ**
ويدٌ تمتدُ نحوي كيـــدٍ	**من خلال الموج مدت لغريقْ**
آه يا قبلة أقدامـــــي إذا	**شكتِ الاقدامَ أشواكُ الطريقْ**
وبريقايظمأ الساري لـــهُ	**أين فـــي عينيكِ ذيّاكَ البريقْ**

يستهل ناجي هذا المقطع من القصيدة بالفعل الماضي الناقص (ليس) الذي يفيد النفي ، ويجعل من (ياء) المتكلم أسما له ، ثم يستعمل جملة (انساك) من الفعل والفاعل المستتر الذي يعود على الشاعر نفسه والمفعول به (الكاف) الذي يعود على الحبيب ، وما العلاقة بين اسم ليس (التاء) والمفعول به الواقع في خبر ليس (الكاف) إلا دليل على ان الحدث (النسيان) لا يتجاوز حدود المتكلم والمخاطب (الحبيب والحبيبة) وهذا ما يتضح في جملة (أغريتني) والفاعل هنا الحبيبة والمفعول به هو الشاعر ، وإذا كان النسيان قد وقع من قبل الحبيبة ، فأن الشاعر لا يستطيع النسيان، لان حالة الاغراء قد وقعت عليه ، وما دام الاغراء موجودا فلا يقع النسيان ، لان الحبيبة قد أغرته بفم عذب تتردد من خلاله مفردات رقيقة عذبة ، ويد حنون قد أخترقت الامواج المتلاطمة لإنقاذ (الغريق) فالشاعر هنا قد شبه نفسه بالغريق وسبه حبيبته بالمنقذ من خلال استعمال الجزء وأراد به الكل ، ثم ان الشاعر يتحسر على (قبله أقدمه) فهو يتجه اليها حتى وان ادمت الاشواك اقدامه ، والاشواك في هذا الموضع هي الصعوبات التي احاطت بالشاعر من كل جانب .

إن الاسباب التي تدفع الشاعر الى عدم نسيان الحبيبة هي لأنه يرى فيها النور والضياء اللذين يحتاج اليهما المسافر الذي يسري في الليل ، فضلا عن ذلك البريق واللمعان في عيني الحبيبة ، وما فيهما من معان عميقة ملؤها اللهفة والشوق والحنان ، ومن المؤكد ان الشاعر لا ينسى حبيبته التي أغرته بالتطلع الى الذرى بما يمثله من علو وارتفاع حتى أصبح مدمنا على التطلع الى المعالي فيقول:

لستُ أنساكَ فقد أغريتني ... بالذرى الشم فأدمنتُ الطموح
أنتَ روحي في سمائي وأنا ... كَ أعلو فكأني محضُ روح
يا لها من قممٍ كنّا بها ... نتلاقى وبسرينا نبوح
نستشفُ الغيبَ من أبراجها ... ونرى النورَ ظلالا في السفوح

لقد كرر الشاعر العبارة نفسها (لست أنساك وقد أغريتني) التي ذكرها في المقطع السابق ،وكأنه يؤكد صعوبة النسيان ويمضي الى أكثر من ذلك لان الحبيبة قد أصبحت بمنزلة (روحه) فيخاطبها قائلا (أنت روحي) ، ويستعمل عبارة (في سمائي) استعمالا مجازيا أراد من خلالها القول (أنت حياتي كلها) ثم يضع الشاعر الحبيبة في مكان عال يحاول الوصول اليه .

ويلجأ الشاعر الى استعمال ضمير المخاطب (أنت) مقرونا بالحسن والجمال والترفع ثم يستعمل ضمير المتكلم (أنا) مقرونا بمفردات الحزن والألم لتجسيد صور الاختلاف

بينه وبين من يحب والذي أدى بدوره الى انتهاء الحب و أورثه ن الأحزان والآلام ، فيقول :

أنتِ حسنٌ في ضحاه وأنا عندي أحزانُ الطلل

ثم يحاول أن يصور أفول الحب وتلاشيه ووقوفه على أطلاله ، فيقول :

وبقايا الظل من ركبٍ رحل وخيوطُ النورِ من نجمٍ أفل

فالشاعر هنا لم يتمتع بكل الظل وإنما ببقايا منه ، وهو ما تركه الركب بعد رحيله ، أما النور الذي يراه فهو مجرد خيوط من نجم متلاش فلم يعد يضيء ، إن تلك الصورة المأساوية هي التي جعلت الشاعر يرى الحياة (بعيني سأم) ولا يرى من حوله إلا أشباحا تعبث على الملل والكآبة ، فيقول :

ألمح الدنيا بعيني سئمٍ وأرى حولي أشباحَ الملل

إنها أشباح تتراقص على (أشلاء الهوى) ورقص الأشباح هو أشارة الى نوع من أنواع الحزن والخوف ، فبعض الناس يرقصون في الافراح والاحزان ، وما رقص الاشباح على الاشلاء إلا دليل حزن لآنها كانت تصرخ بصوت حزين وتنثر شعرها وتمزق ثيابها على قبور الأمل (الأطلال) ومن ذلك قول الشاعر إبراهيم ناجي :

راقصاتٍ فوقَ أشلاءِ الهوى معولاتٍ فوقَ أجداثِ الامل

لقد أمضى شاعرنا حياته بحب لم يجن منه ى الوعود الكاذبة خلفت وراءها قلبا محطما ، وجوى طحن قلبه طحنا فيقول :

ذهبَ العمـــرُ هبـاءً فاذهبي لم يكن ْوعدكِ إلا شبحـــــــا
صفحةٌ قد ذهبَ الدهـــرُ بها أثبتَ الحبُ عليها ومحـــــــا
أنظري ضحكي ورقصي فرحا وأنا أحمل قلباً ذبحـــــــا
ويراني الناسُ روحـــاً طائراً والجوى يطحنني طحن الرحى

لقد نفذ هذا الحب الى سويداء قلب الشاعر حتى أصبح يرى حبيبته كل ما في هذه الدنيا ، إلا أن كل شيء أصبح ماضيا وأصبح مصدر شقاء، وهذا ما أراده القدر على رأي الشاعر لأنه خارج عن ارادته ، لقد حطمت الاقدار حياته وهدت معبده وصومعته وتركته وحيدا يائسا مع الصمت الرهيب ولذلك يقول :

كنتِ تمثالَ حياتي فهـوى المقاديرُ أرادتْ لا يـــــدي
ويحها لم تدرِ ماذا حطمتْ حطمتْ تاجي وهدّت معبـدي
يا حياةَ اليأسِ المفـــــردِ يا يباباً ما بهِ مـــن أحـــــدِ
يا قفارا لافحاتٍ مـــــا بها من نجي يا سكونَ الأبـــــدِ

لقد كرر الشاعر كلمة (حطمت) ومرادفاتها (هدت) لتجسيد انهيار صرح الحب وجسامة ا لأثر في نفسه .

وحينما يستذكر الشاعر حبيبته فهو تارة يصفها بالساحر وتارة بالنبل والجلال والحياء وهي ملكة حينما تمشي وحسنها ظالم متجبر، فيقول :

أين من عيني حبيبٍ ساحرٍ فيـــــه نبلٌ وجلالٌ وحياءْ
واثقُ الخطوةِ يمشي ملكـــا ظالمُ الحسنِ شهيُ الكبرياءْ

ولا يتردد ناجي من وصف حبيبته بالطاغي والظالم ومن ذلك قوله :

أيها الظالمُ باللهِ الـــى كـــمْ أسفحُ الدمعَ على موطنِـها
رحمةٌ أنتَ فهلْ من رحمـةٍ لغريبِ الـــروحِ أو ظامئها
يا شفاءَ الروحِ روحي تشتكي ظلمَ آسيها إلـــى بارئِـــها

لقد شعر ناجي بأنه مقيد بهذا الحب ويطلب الحرية من عبودية الحبيب ، ويبدو أنه على خلاف ما هو معروف عن نيل الحرية فهو يستجديها ولا يأخذها بالقوة ، فالحرية كما هو معروف تؤخذ ولا تعطى ، ولكن يبدو انه أسير حب قاس وحبيب متكبر ، فيقول :

أعطني حريتي أطلقْ يدي إنني أعطيتُ ما آستبقيتُ شيء
أه من قيدكَ أدمى معصمي لمَ أبقيهِ ومـــا أبقـــى عليَّ

ثم يتساءل خجلا :

ما آحتفاظي بعهودٍ لـــم تصنها وإلامَ الأسرَ والدنيا لـديّ
ها أنا جفّتْ دموعي فعفُ عنها إنها قبلكَ لـــم تُبذل لحـــي

وأخيرا يبقى الشاعر في دائر ة الاحزان ملتهب المشاعر والاحاسيس تتردد في ذهنه الذكريات الجميلة العزيزة على قلبه ، يحكي قصة عذابه بما فيها من جفاء وغدر وهجر ونسيان واستكبار وتوسل واسترضاء وإطلاق حرية وطلب رحمة ، و غزارة دموع وتلاشي احلام مليئة بالاضطرابات والقلق واليأس والتذلل والخضوع ، ومن ذلك قوله :

لا رعى اللهُ مساءً قاسيـــــاً قد أراني كلَّ أحلامي سـدى
و أراني قلبَ مَنْ أعبـــدهُ ساخرا من مدمعي سخرَ العدى

وعلى الرغم من كل هذا الجفاء وتلك القيود فإن الشاعر يتلمس العذر لمن يحب ولنفسه أيضا ، فيلقي بالملامة على القدر ، قائلا

يا حبيبي كـــلُّ شيءٍ بقضاء ما بأيدينا خُلقنا تعســـاء
ربما تجمعنا أقـــدارُنا ذاتَ يومٍ بعـــدمـــا عـــزّ اللقـــاء

فإذا أنكـــرَ خلٌّ خلـــــــــهُ وتلاقيـــــــنا لقـــاءَ الغربـــاء
ومضى كـــــلٌ إلـــــــى غايتهِ لا تقـــــلْ شيئا وقل الحظُ شاء (١٣)

حالتي الاستسلام وفقدان الامل هما اللتان دفعتا بالشاعر إلى أن يتبنى مسألتي القضاء والقدر ويعلق عليهما وعلى حظه فشل تلك العلاقة الروحية وكبت تلك المشاعر الانسانية التي آنتهت وحلت بدلا عنها مشاعر الغربة والجفاء والنسيان .

والحق أن قصيدة إبراهيم ناجي هذه تحكي قصة حزن عميق ومشاعر فياضة وعواطف مؤججة ودموع ساخنة وشجن عميق ولوعة محرقة وقلب محطم أسير وقيود مسرفة وتوسل وخضوع ، ولا أحسب أن قارئا لا يدرك هذه الحقيقة بمجرد النظر الى مفرداتها اللغوية وهي كلها مفردات حزينة مؤلمة .

وهكذا يعبر الشاعر إبراهيم ناجي عن أحزانه وتشاؤمه وإحباطه في ديوانه الشعري ، وما هاتان القصيدتان اللتان اخترتهما إلا إنموذجين لديوان موشح بظلام حالك وحزن عميق ، وما من قصيدة في هذا الديوان إلا وهي تنبض بالحزن والتشاؤم وموشحة بالسواد .

ثانيا: الحزن بسبب مرضه أو مرض صديق له:

لقد عبر الشاعر إبراهيم ناجي عن مشاعر الحزن والالم بسبب مرضه هو أو مرض صديق له ، وهذا ما عبر عنه في قصيدته (الحي الميت) (١٤) ، التي نظمها وهو يصارع المرض ، أو بالا حرى يصارع الموت ، ولذلك ظهر الحزن جليا في قصائده ، والحق ان أحزان الشاعر لم تكن بسبب المرض فحسب وإنما آمتزج ذلك الحزن بفراق الحبيب وآضطراب الوجدان أيضا ، وكان الشاعر يجد بمن يحب خير طبيب لعلاجه وخير دواء لشفائه ولذلك يخاطب حبيبه قائلا :

داو ناري وألتياعـــــي وتمهّلْ في وداعـــي
يا حبيبَ العمرِ هـبْ لـــي بضعَ لحظـاتٍ سراع
قـــفْ تأملْ مغربَ العمـ ـر وإخفـــاقَ الشعاع
وأبكِ جبارَ الليالـــــي هـــدَّه طوعُ الصراع

ففي مطلع القصيدة استعمل الشاعر فعل الامر (داو) وهو فعل مبني على حذف حرف العلة هو الياء ،ولعل في ذلك إشارة الى آختصار الزمن لتلقي العلاج وإخماد نار اللوعة، وبالمقابل يستعمل الفعل (تمهل) للإطالة مدة الوداع لعله يروي شيئا من ظمئه الى حنان

الحبيب ، لقد نسي الشاعر أو تناسى الناس المحيطين به القلقين على حياته وخاطب حبيب العمر مستعملا أداة النداء (يا) وهي أداة تستعمل لمخاطبة القريب ويطلب منه أن يمنحه بضع لحظات ليعبر من خلالها عـــن حبه ومشاعره العميقة ، فهو ينازع الموت ويقترب من غروب العمر وتلاشي شعاعه ولذلك استعمل الشاعر صورة الطبيعة ووقت الغروب على وجه التحديد بما يبعثه في النفس مـــن ملات فلسفية ومشاعر وجدانية وتلاشي النور التدريجي حتى سدول الظلام ، ولعل الشاعر وجد في آختيار وقت الغروب ما ينسجم وحالته النفسية المتألمة ، فضلا عن آنسجامه مع تدهر حالته الصحية ، لقد أشار الشاعر وهو يصارع المرض الى حبيبه واستعمل افعال الام (داو ، تمهل ، قف ، تأمل ،أبك) وهي كلها تشير الى رغبة الشاعر في نظر الحبيب اليه وهو يستجيب لطلبه الامر الذي يشيع في نفسه الراحة والسعادة.

وفي المقطع الثاني من القصيدة نفسها يعبر الشاعر عن حزنه العميق لضياع العمر ، فيقول :

وا ضياع الحزن والدمـــ	ـع على العمـــر المضاع
وهتافَ القلبِ بالشكـــــو	ى علـــى غيـــر إنتفـــاع
ما يهمُ الناسَ مـــــن نجـ	ـمٍ على وشكِ الزمـــــاع
غاب من بعـــــدطلـــوع	وخبا بعـــــد آلتمـــاع

ففي هذه الابيات يندب الشاعر عمره الذي أفناه بالحزن والدموع والشكوى ، بل يندب الحزن والدمع وضياعهما هباء منثورا على عمر مضاع ، ويفجع على هتاف القلب الذي ضج بالشكوى ولا مجيب ، ويلفت الشاعر الانظار الى ان الحدث المريب الذي هو فيه لا يلتفت اليه الناس فما شأنهم من أفول نجم من النجوم أصبح غائبا بعد الطلوع ، وأمسى خافتا بعد اشراق والتماع ، على الرغم من شدة المرض التي كان يعاني منها الشاعر إلا أنه لم ينس حبه وهنا تخرج القصيدة عن الوحدة الموضوعية من موضوع المرض الى موضوع الحب واستذكار الحبيبة في أحلك الظروف ، وإن كان هذا الاستذكار ينسجم وطبيعة الحزن الملازمة لحياة الشاعر ، فيقول :

كم تمنيتُ وكـــم مـــــن	أملٍ مـــرِ الخـــــداع
وقفةٌ أقرأ فيـــــــــها	لكَ أشعارَ الـــــوداع
ساعةً أغفـــــــــرُ فيها	لكَ أجيـــالَ آمتنـــاع
يا مناجـــــــاتي وسري	وخيالي وابتداعـــــي
وامتناعـــا لعيونـــــي	وشميمي وسماعـــــي

تبعثُ السلوى وتسـى ل موتَ مهتوكَ القنـــاع
دمعةُ الحزن التي تســـ كبها فـــوقَ الـذراع

إن آستذكار الاحبة والحزن على فراقهم يزيد من شدة الالم ، لقد كان ناجي (يتمنى) حضور الحبيب ، وكان يتطلع الى ان يستمع الى كلمات الوداع وقصائد الشوق المعبرة عن شدت تعلقه به ، وأن يختزل (ساعة) من الزمن يفضي بها عن مشاعره ويبوح فيها عن مكنونات قلبه ويغفر فيها عن زلات حبيبه ، فهو متاع لعيونه وهواء لأنفاسه ولأسماعه ، يبعث السلوى في نفسه الحزينة ، ويشعر بالراحة والفرحة اذا سالت من عيني حبيبته دمعة دافئة على ذراعيه ، والحق ان هذه المشاعر كلها لا تتجاوز الامنيات التي لا يمكن تحقيقها ، ولذلك كان ناجي حزينا بسبب معاناته من المرض من جهة ، والهجر والنسيان من جهة أخرى .

وقد تتأجج الاحزان في قلب ناجي بسبب مرض صديق له ، فحينما يرى الشاعر صديقا له (عليلا محموما بعد غربة طويلة) [١٥] يتأثر كثيرا فينظم على أثرها قصيدة (المآب)[١٦] ، وهي قصيدة نفجع فيها الشاعر على صديقه وعلى ما ألم به من مرض،فيقول :

لمن العيون الفاترات ذبـولا ومن الخيال موسدا محمـــولا
يا همَّ قلبي في صبا أيامـــهِ وسهادَ عيني في الليالي الأولى
عيناي كذّبتا وقلبي لم تـدعْ دقاتُه شكـــــاً ولا تأويـــلا
يا أيها الملكُ العليلُ أفقْ تجد مضناكَ بينَ العائدينَ عليـــلا

هنا يتساءل الشاعر عن تلك العيون الذابلة وعن ذلك الجسد المسجى وكيف اصبح بهذه الحال ، وتنكر الشاعر لما رأت عياه وهم بتكذيبهما وخالج الشك قلبه وهو يرى معاناة صديقه من شدة المرض ، وفي وسط هذا الذهول يتحدث الشاعر مخاطبا الزمن قائلا :

يوم المآبِ كم آنتظرتُكَ باكيـــا وبعثتُ أحلامي إليكَ رسولا
خطبتُ عنكَ فما تركتُ مخاطبـا وسألتُ حتى لم أدعْ مسؤولا
وغرقتُ في الامل الجميل فلم أدع متخيلا عذباً ولا مأمـــولا
وبكيتُ من يأسي عليكَ فلـــم أذر عند المحاجر مدمعاً مبـذولا

لقد عبر ناجي عن مشاعره تجاه رفيق صباه ، وأخبره بالمعانات الكبيرة التي كان يعاني منها في غيابه ، وصور له شدة تعلقه به وهو ينتظر بلهفة يوم مآبه بفارغ الصبر والشوق والحنين ، إن التعبير عن هذه المشاعر لا بد أن تترك آثارها على المريض ، فهي مواساة له في مرضه ومؤازرة له للتغلب على المرض .

ففي الابيات السابقة وظف الشاعر أداة الاستفهام (كم) ليعبر عن طول الانتظار والشوق واللهفة التي يشعر بها تجاه صديقه الحميم فضلا عن كثرة الاحلام التي كان يغرق فيها بعد عودته ، ويوظف أيضا أداة الجزم (لم) مقرونة بالفعل المضارع (أدعو) أكثر من مرة ليؤكد حقيقة مشاعره ، فقوله (فلم أدع تخيلا) و (فلم أذر عن المحاجر مدمعا) تأكيد على غزارة الدموع ورمز المحبة من جهة وكذلك هي رمز للحزن من جهة أخرى .

واذا كان الشاعر قد عبر عن عمق أحزانه في الابيات السابقة إلا ان الملاحظ على مفردات القصيدة وعباراتها هي أقرب الى الغزل منها الى مأساة مريض ، ولو حذف الباحث مطلع القصيدة والاسطر النثرية التي في مقدمتها لوقف على قصيدة غزلية خالصة ، ومن ذلك قوله :

ذهبَ الصبا الغالي وزالتْ دوحةٌ ... مدت لنا ظلَّ الوفاءِ ظليلا
أيامَ يخذلني أمامـــــكَ منطقي ... فإذا سكتَ فكلُ شيء قيلا
ويثورُ بي حبي فإن لفظ جـرى ... **فمي تعثر بالثفاءِ خجولا**

بمثل هذه المفردات يواسي ناجي صديقه ، وهي مفردات تصلح للغزل أيضا ، ويبدو لي أن الشاعر لم يستطع التخلص من هذه المفردات لأنها تشكل جزء من قاموسه الشعري ونزعته الفلسفية والانسانية، على أية حال فالشاعر قد عبر عن حزنه بسبب مرض صديقه ، وإن المرض أصبح يشكل سببا واضحا من أسباب حزنه ونظراته السوداوية وتشاؤمه من الحياة وهذا ما عبر عنه في قوله :

وكذا الحياةُ تملُّ إن هي أقفرتْ ... ممن يهوّنُ عبأها المحمولا
كد على كدٍ ولستُ ببالـــــغ ... إلا ضنى متتابعا ونحـــولا

وتتكرر هذه المشاعر الحزينة في قصيدته (وداع مريض) [١٧] ، ومنها قوله :

فيمَ الغدو غداً وأينَ رواحـــي ... ويحَ الصباحِ ، لقد مضى بصباحِ
عصفتْ علينا غيرَ راحمةٍ لنـا ... يـا صفوةَ الأحبابِ ، أي ريـــاحِ
ذهبوا بهِ كالوردِ جافاه النـدى ... ومضوا بهِ شبحاً مـن الأشبـاحِ
عبثتْ بمعبودِ العيونِ وصيّرت ... **كالورس [١٨] لـونا تولّم القـاحِ**

نظم الشاعر هذه الأبيات لمناسبة مرض ألم بشخص عزيز على قلبه ألأمر الذي دعاه الى السهر عليه وعلى راحته حتى أنه أمضى الليل جالسا بالقرب من سريره ، وكان من المقرر ان يودعه في صباح اليوم الثاني ، ولذلك كتب هذه الأبيات يودع صديقه بها ، وهي جزء من قصيدة تعبر عن حزن عميق بسبب آبتعاده عن صديقه ، يتساءل الشاعر

في مطلعها عن سبب السفر يوم غد (فيما الغدو غدا) أي لماذا السفر غدا ، ويبدو أن هذا السفر سيؤثر على حياة الشاعر لتعلقه بصديقه ، ثم يستفسر ويتساءل عن المكان الذي ينشد فيه راحته مستعملا أداة الاستفهام (أين) أي ان الشاعر سوف لن يجد الراحة مادام هو بعيد عن صاحبه ، ثم يستعمل الشاعر عبارة (ويح الصباح) وكأنه يزجر الصباح القادم لما يحمله من ألم الفراق ولوعة الروح الأمر الذي سيملئ حياته بالحزن والتشاؤم والألم ، ثم بعد ذلك تتوالى الأفعال الماضية (عصف و عبث ، ذهب ، مضى) لتجسد عمق الأحزان التي تركا الوداع في قلب الشاعر ، فالرياح العاصفة تدمر كل شيء عند هبوبها ولا ترحم أحدا ، والعبث بالشيء هو إلحاق الأذى والضرر به ، والمقصود هنا هو الضرر الذي تعرض إليه صديقه المريض ، وفي أبيات أخرى ينادي الشاعر صديقه قائلا :

يا هاتفاً بآسمي فديت مناديـــا ... ردَّ النداءُ عليه حرَ نواحـــي
طأطأتُ للبينِ المشتتِ هامتـي ... وخفضتُ للقدرِ المغيرِ جناحـي
أي الليالي العاتيات سهرتـهـا ... في أي آلام وأي كفـــاح (٢)

ففي هذه الأبيات يخاطب الشاعر صديقه المريض مستعملا أداة النداء للمنادى القريب (ا) ثم يستعمل النكرة المقصودة (هاتفا) وكأنه يخاطب أي هاتف من أي مكان ومن أي مصدر كان لمجرد أن يهتف بأسمه ويناديه ، ولا يتردد ناجي من الرد على ذلك المصدر بالنواح والعويل والبكاء وغزارة الدموع ، لقد(طأطأ) الشاعر رأسه للموت الرهيب الذي شتت هامة صديقه ، وقد أجـــاد الشاعر فـــي استعمال
هذه المفردة لأن هذا الفعل يستعمل للوقوف أمام الأحداث الكبرى التي يكون الإنسان عاجزا أمامها لا حول له ولا قوة ، ان الحدث الجلل هو(الموت) الـــذي لا بد أن يشتت الآمال وان يؤدي إلى تلاشي الآمال بل إلى انتهائها .
ثم يستعمل الشاعر أداة الاستفهام (أي) ويكررها ثلاث مرات في محاولة منه للوقوف على معاناة صديقه وهو يعاني سهر الليالي العاتيات التي يكابد فيها الآلام والأوجاع ، ثم يعرج الشاعر على صور الكفاح المرير التي أبداها المريض لعله ينتصر على المرض إلا أنها لم تنفع بشيء وذهبت إدراج الرياح .
ويستمر الشاعر في التعبير عن شجنه وحزنه من خلال استعماله مفردات دالة على التشاؤم والحزن ومن بينها (طأطأت لبين ، الليالي العاتيات . مكان موحش ، عاد للثقي)

وهكذا تتضح صور الحزن والأسى في شعر إبراهيم ناجي بسبب مرضه أو مرض صديق له ، الأمر الذي أضاف أحزانا أخرى إلى أحزانه الكثيرة.

ثالثا: الحزن بسبب الوحدة :

الوحدة ، ويعدها مرضا آجتماعيا خطيرا ويراها من الامراض التي تهد كيانه ومستقبل حياته ، وكان إبراهيم ناجي من الأشخاص الذين يعانون من مرض الوحدة ، ففي قصيدته الموسومة (الناي المحترق) [١٩] التي يصور فيها معاناته من الوحدة قائلا :

كم مرةٍ ياحبيبـــــي والليلُ يخشى البرايا
أهيمُ وحدي وما ف الظلامِ شاكٍ سوايـــا
أصبّر الدمعَ لحنـا وأجعلُ للشعرَ نايـــا

ففي هذه الأبيات يشير الشاعر الى معاناته من الوحدة ، فيستعمل أداة الاستفهام (كم) تعبيرا عن عدد المرات التي كان يهيم فيها وحده وسط الظلام ، كما استعمل الشاعر الفعل المضارع (أهيم) ليعبر من خلاله عن السير من دون هدف ، وقد استعمل الشاعر هذا الفعل بصيغته الدالة على المتكلم ، لأنه يعبر عن معاناته هو وليس معانات شخص آخر ، أما كلمة(الظلام) فتحمل إشارة مضمونها أن هيامه يستمر الى وقت متأخر من الليل ، حتى أنه لم يبق في ذلك الليل شاكٍ سواه ، وإن حسرة الوحدة القاتلة جعلت دموعه تنساب على خديه ، وكان يصّر نفسه بالشعر والغناء لعله يجد في ذلك سميرا له ، ويستمر الشاعر يعبر عن أحاسيسه الحزينة ، فيقول في القصيدة نفسها :

النارُ توغـــلُ فيـــــهِ والريحُ تذرو البقايا
ما أتعس النايَ بين المـ نى وبين َالمنايـــا
يشدو ويشدو حزينـــاً مرجِّعا شكوايـــا

فالنار توغل في قلبه وتعصف به الرياح لتقضي على ما تبقى في نفسه من آمال ، والحق أن الوحدة تشعل نارا في القلب وتؤجج الضيق في الصدر ، ويبدو أن الشاعر لم يستطع الغلب على ما في قلبه من نار مضطرمة ، ولم يسلي قلبه الناي الذي كان يعزف عليه ، لأنه ناي (تعيس) يتردد عزفه بين الأماني والمنايا ، ولا ينشد إلا ال النغم الحزين ، ولا يتردد من أوتاره إلا الصدى الذي يرجع الشكوى لقلبه .

وفي مقطع آخر من القصيدة نفسها يغرق الشاعر في الخيال وهو هائم في الظلام فيقول :

مستعطفا مَـــن طوينـــا على هواه الطوايا

حتى يلوح خيـــــــــالٌ ... أزمته فـــي صبايا
يدنـــو اليّ وتدنـــــــو ... مـــن ثغرهِ شفتاي
إذا بحلمـــــــــي تلاشى ... واستيقضت عينايا
و رحت أصغي وأصغي ... لـم ألق إلا صدايا

فالشاعر في هذا النص يغور في أعماق الزمن (يستعطف) من كانت له في قلبه ذكرى عزيزة طوتها السنون ، فيحلق في الخيال ويعود الى صباه، ليرى حبيبته تدنو منه ، وأن شفتاه تدنوان من شفتيها ومن ثغرها ، وحين يستيقظ من أحلامه لم يجد الا صدى حبه الضائع .

إن الحقيقة المرة التي يحاول الشاعر الوقوف عليها هي هل ما رآه كان حقيقة أم كان حلما ، ولذلك حاول الإصغاء والانتباه إلى ما هو فيه ، فكرر كلمة (أصغي) مرتين في محاولة لتأكيد الرؤيا ، ولكنه يصحو على غير ذلك ، لأنه لم يجد غير صدى موحش ، حينما أفاق منه وجد نفسه وحيدا غارقا في بحر من الاحزان يتلمس خطاه وسط وحشة الليل العميق .

وتتكرر مشاعر الحزن والألم والتشاؤم بسبب الوحدة في قصيدته الموسومة (أصوات الوحدة) [٢٠] التي يقول فيها :

يا وحدتي جئتُ كـــي أنسى وهاأنذا ... ما زلتُ أسمعُ أصداءً وأصواتـا
مهما تصاممتُ عنها فهـــي هاتفـةٌ ... يا أيـها الهاربُ المسكينُ هيهاتـا
جرت علي الأماني مـــن مجاهلها ... وجمعت ذاكرا قد كـــن أشتاتا
ما أسخفُ الوحدةِ الكبرى وأضيعها ... إذا الهواتفُ قـــد أجمعن ما فاتا

فالشاعر يوجه خطابه الى الوحدة مستعملا أداة النداء (يا) مقرونة بياء لتصلح(وحدتي) وبذلك فالشاعر يخاطب الوحدة التي يعاني منها هو ، ويبدو ان الشاعر اراد أن يختلي بنفسه لكي ينسى شيئا من أحزانه وآلامه ولكنه لم يجد الراحة من وحدته ، لأنه لم يستطع التخلص من ذكرياته العزيزة على قلبه ، وما زال صوت الحبيب يلاحقه وينفد الى أسماعه مهما حاول أن يتجنبه ، فهو يلاحقه ويهتف في أذنيه عبارات الحب واحيانا ينعته بالهارب أو بالمسكين ، ويستعمل الشاعر كلمة (هيهات) دليلا على ان الهروب من أحاسيسه ومشاعره شيئا مستحيلا وان وحدت لا تجد نفعا، وأنها مضيعة للوقت لان هاتف الذكريات يؤجج في قلبه أحاسيس الحب العميقة ويبعث ما كان (مطويا) أو (راقد) في قرارة نفسه من مشاعر الحب والهوى ، وتحيي ما كان ميتا منها فيقول :

بعثنَ ما كان مطويا بمرقدهِ ... ولم يزلنَ الى أنْ هبَّ ما ماتـــا

تلفتَ القلبُ مطعونا لوحدتـه وأين وحدتُه باتت كمـــــــا باتـا
حتى إذا لم يجدْ ريًّا ولا شبعا أفضى إلى الأمل المعطوب فلقتاتا

ويبدو أن الوحدة والهروب الى المجهول لا يشكلان علاجا ناجعا للشاعر ، فهو وان عاش وحيدا الا أنه لم يستطع التغلب على مشاعره ولم يستطع النسيان، لآنه يحيا على ذكريات وآمال سابقة تغذي روحه الظامئة ، وما الوحدة في شعر ناجي إلا حزن وبكاء على ذكريات مضت ولم يستطع نسيانها . وهكذا تتجسد ملامح الحزن والتشاؤم في شعر إبراهيم ناجي ، وما ذكرت من أمثلة في هذه الصفحات القليلة لا يشكل إلا نماذج من شعره الحزين ، فدواوينه (وراء الغمام ، ليالي القاهرة ، الطائر الجريح)، تشكل قطعا من الاحزان المتراكمة والعواطف الملتهبة ، وتكاد تكون قصيدة حزينة واحدة تصور ألام قائلها ، انبعثت من قلبه الحزين المولع بالحب والمليء باليأس والحسرة والشوق ، المبتلى بالهجر والنسيان .

الخاتمة

تناول هذا البحث ظاهرتي الحزن والتشاؤم في شعر إبراهيم ناجي ذلك الشاعر الذي كانت أحزانه موغلة في قلبه ، منسابة على لسانه ، لا يستطيع التخلص منها حتى وإن غمر جزءا من حياته فرح أو سرور ، فمن يقرأ دواوينه (وراء الغمام ، ليالي القاهرة ، في معبد الحب ، الطائر الجريح) لا يخرج إلا بنتيجة واحدة هي أن الحزن والتشاؤم قد تملك الشاعر واستشرى في روحه ووجدانه .

وقد جاء هذا البحث على مقدمة وفصلين ، تحدثت في الفصل الأول عن حياة الشاعر و آثاره الأدبية ، ثم مفهومه للشعر ، ثم خصائص شعره ، أما الفصل الثاني فقد سلط الضوء على أسباب حزن الشاعر وتشاؤمه ، وقد توصل الباحث إلى أهم الأسباب التي أثارت الأحزان في وجدان الشاعر وحددها بما يأتي :

أولا: فشله بتجارب الحب ، ثانيا : بسبب مرضه هو أو مرض صديق له ،ثالثا : بسبب معاناته من وحدة قاتلة ، ولذلك جاءت قصائده فيضا من اللوعة والحرمان والاحزان والتشاؤم من الحياة .

الهوامش

---

(1) ينظر : الأدب العربي المعاصر في مصر ، \ .شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر ،ط٦,١٩٦١، ص١٥٤.

(٢) المصدر نفسه ،ص١٥٤،

(٣) ينظر : ديوان إبراهيم ناجي ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠، ص٢٣٧.

(٤) المصدر نفسه ،ص ٢٣٧.

(5) الديوان ، ص٣٣٩.

[1] المصدر نفسه ،ص٣٤١.

[٢] المجموعة الكاملة لمؤلفات د. طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٠،ص ٧٣٠.

(١) ينظر : الأدب العربي المعاصر في مصر ، د. شوقي ضيف ، ص١٥٥

(٢) المصدر نفسه ، ص١٥٥.

(٣) المصدر نفسه ،ص١٥٥

(٤) المصدر نفسه ،ص١٥٥.

(٥) المصدر نفسه ، ص١٥٥.

(٦) المصدر نفسه ،ص١٥٥.

(٧) جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ، عبد العزيز الدسوقي ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١، ص٣٥٨.

(٨) ينظر المصدر نفسه ،ص٣٥٨.

(١) الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي ، د. محمد كتاني ، دار البيضاء ، ١٩٨٢، ٤٤٥/١.

(٢) الديوان ،ص٣١٨.

(٣) الأدب والمذاهب النقدية ، د. رشيد العبيدي ، مطبعة التفيض ، بغداد ، ١٩٤٥، ص ٥٩.

(٤)الديوان ، ص٣١٨.

(٥) ديوان ليالي القاهرة ، ص١١. كما ينظر : شعر إبراهيم ناجي الأعمال الكاملة ، دار الشروف ، القاهرة ،ط٣,١٩٦٦،ص٧.

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر ، د. شوقي ضيف ،ص١٥٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٤

(٣) الديوان ، ص ٣٤٦. ٣٤٧ .

(٤) الادب المعاصر في مصر ، د. شوقي ضيف ، ص١٥٥.

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر ، د. شوقي ضيف ، ص١٥٥.

(٢) الديوان، ص ٣٤٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٤٥ .

(٥) الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني ، أميمه حمدان ، منشورات وزارة الثقافة ، الجمهورية العراقي ، ١٩٨٠، ص ٧٨ .

(٦) الأدب العربي في مصر ، د. شوقي ضيف ، ص ١٥٥

(٧) ينظر :مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي ، د. سالم الحمداني ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩، ص ٨٥ وما بعدها .

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر ، د. شوقي ضيف ، ص ١٥٦ .

(٢) ينظر : ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة أسبابها وقضاياها المعنوية والفنية، د. سالم احمد الحمداني ، وزارة ا لتعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩ ،ص ٤٠ .

(٣) ينظر : جماعة ابولو وأثرها في الشعر الحديث ، عبد العزيز الدسوقي ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة . الهيئة المصرية للتأليف ، المكتبة العربية ، ١٩٧١ ص٤٠ .

(٤) الادب العربي في مصر ، د . شوقي ضيف ، ص ١٥٦.

(٥) الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، أميمة حمدان ، ص١٣

(٦) جماعة ابولو ، ص٣٢٦

(٧) المصدر نفسه ،ص٣٣٨.

(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٧

(١) ينظر: جماعة ابولو وأثرها في الشعر الحديث ، ص ٣٣٨.

(٢) المصدر نفسه ،ص٣٨٧ .

(٣) الصراع بين القديم والجديد، ص ٤٤٥/١

(٤) جماعة ابولو وأثرها في الشعر الحديث، ص ٤٠٨ .

(٥) في الادب وفنونه ، علي أبو ملحم ، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، لبنان ، ١٩٧٠، ٥٨ .

(٦) أزمة القصيدة العربية مشروع تساؤل ، د. عبدالعزيز المقالح، دار الادب ، بيروت ، ١٩٨٥ ،ص ١٤١ .

(٧) شعراء معاصرون ، د. احمد إبراهيم الهواري ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤، ٢/ ١٦٦ .

(٣) ينظر الديوان ، ص ٨، ١٠ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٣، ٤٥,٤٦ ، ٥٠ ، ٥٢، ٥٤، ٥٧، ٨٤، ١٠٥.

(٤) الديوان ،ص ١١٨ .

(٥)المصدر نفسه، ص٢٣١.

(٦) في النقد الأدبي الحديث ، مجد محمد الباكير الرازي ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٦ ،ص ١٤٤ .

(٧) ينظر : الديوان ، ص ١٠ ١٣، ١٨، ١٩ ،٣١، ٣٨، ٤٦,٥٤، ٧٤، ٧٥ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ،١٤٦، ١٥٠، ٢١٠ .

(٨) الأدب العربي المعاصر في مصر ، د . شوقي ضيف، ص١٥٧ .

(٩) الديوان ،ص ٣١.

(١٠) لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الابداعية ، السعيد الورقي ، دار المعارف ، ط٢، ١٩٨٣،ص ٥٨ .

(١١) الديوان ، ص ١ .

(١٢) الديوان ، ص ١٣٢ .

(١٣) الديوان ، ص ١٤٠ .

(١٤) المصر نفسه ، ص٣٣ .

([15]) الديوان ، ص٨ .

([16]) المصدر نفسه.

([17]) الديوان ، ص ٨٤ .

([18]) المصدر نفسه ، ص ٨٤ .

([19]) الديوان ص ١٧ .

([20]) الديوان ص ١٠٧ .

Witnessed the twentieth century developments and wide in all spheres of life, including developments in the field of literature and global and Arab, as witnessed this century major incidents such as wars and occupation and alliances and signing treaties colonial and non-colonial, as well as the evolution of printing and translation and the emergence of political parties to untouched by these developments but is centered basis, and it was natural to be affected by the literary life, including being of tremendous developments in the field of science and technology, which has led to the emergence of literary schools Kalklashikih romance and realism and existential and Albornasah and other literary schools other, and it was natural to be affected by Arab writers such doctrines and some writers the West because of communication happening between writers west between Arab writers in the Diaspora and writers who came from the West Vtmkhadd liaison for the emergence of schools literary in the Arab world and specifically in Egypt, Syria and Lebanon, including , Diwan School and School Apollo, and began names writers of writers and poets, shining in the sky the Arab world, exploring the renewal in Figure Uwe content or in form and content together, and the poet Ibrahim Naji among those names bright secured renewal and editing poetry from the shackles of the past and to rid it from the hustle life and noise, one of the advocates of organic unity and objectivity in building Arabic poem, and the hair is an expression of human experience, and after reading the his office poetic I suggested that I study the side of his hair came Find entitled (sadness and pessimism in the poetry of Ibrahim Naji from 1896 - 1953) The search on the front and two, to ensure the first chapter the poet's life and its literary and his concept of hair and the characteristics of poetry The second chapter highlighted the phenomena of sadness and pessimism in his hair, talked about his grief due to the failure experiences love experienced by, and then dealt with sadness because of his illness is or disease Friend him, then sadness because of the unit, following this chapter Conclusion then proven sources and references.

And last but not least I hope Dear God Almighty that I have been able to accomplish this research, and in supporting the Arab library added Bulbna to **build tall, God guides my help and strength.**